ملامح الحوار الديني عند المتكلمين (المعتزلة والأشاعرة أنموذجا)

Features of religious dialogue in the theologians (Mu'tazilites and Asha'aris as a model)

محمد وادفل
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة عبد الحميد مهري ، قسنطينة2

تاريخ الاستلام: 2020/09/26 تاريخ القبول: 2020/10/17 تاريخ النشر: 2020/12/30

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى النظر في مصادر المتكلمين والبحث في موضوع حوار فلاسفة الكلام والتحقق في فلسفتهم سواء من جهة إمكانية الأخذ بسبل التعايش والحوار الإنساني، أومن جهة أخرى إمكانية الاستفادة من ثقافة الحوار الكلامي في الواقع العربي الإسلامي اليوم، ولهذا، يمكن التساؤل : هل يمكن الحديث عن حوار ديني إنساني في إطار فلسفة المتكلمين،وعن إمكانية وضع أسس واضحة لهذا الحوار أم أنّ موضوع الحوار الديني عند المتكلمين أملته أحداث وتعقيدات سياسية مرتبطة فقط بالبيئة العربية آنذاك؟

أما الحديث الحوار الفلسفي والديني عند المسلمين في فترة العصور الوسطى،فقد عرف هذا الأسلوب بمناظرات فلسفية ودينية وتطور في علم الحوار سواء تعلق الأمر بين فلاسفة الإسلام أم تعلق الأمر بين المتكلمين أو حتى بين الفلاسفة والمتكلمين في إطار تعايش الأفكار الكلامية والفلسفية ومحاولة استثمارها في البيئة العربية الإسلامية. ومن الأمثلة على ذلك الحوار الذي دار بين الفلاسفة والمتكلمين كنموذج لذلك نذكر: الحوار الفلسفي والديني بين أبي حامد الغزالي وابن رشد. أما بالنسبة إلى المتكلمين،فإنّ هناك مدارسا وفرقا إسلامية من بينها : فرقة المعتزلة و فرقة الأشاعرة قد عرفتا مناظرات كلامية ولدتا على إثر الحوار والمناقشات بين أقطاب المدارس الكلامية.

الكلمات المفتاحية : الحوار الفلسفي - الحوار الديني- فلسفة المتكلمين- التجديد الكلامي- الجدل الفلسفي.

Abstract :

This article aims to examine the sources of the Islamic theologian and to address the philosophers of the theological philosopher and verification philosophy in their philosophy, in terms of the possibility of adopting means of coexistence and human dialogue, and on the one hand the possibility of the culture of verbal dialogue in the recent Arab-Islamic reality. The question that can thus be asked: is it possible to speak of humanitarian religious dialogue in the context of the philosophy of the speakers and on the basis of clear dialogue or the subject of religion dialogue between speakers dictated by political events and the complexities related only to the Arab environment of the time?

Regarding the question of philosophical dialogue was used by Socrates to correct certain concepts, since Plato used the methods of dialogue in his top-down and bottom-up approach .Plato spoke of the method of debate and dialogue to refute his sophisticated enemies. As for the philosophical and religious dialogue of Muslims in medieval times, this method is known as philosophical debates and evolution in the science of dialogue, whether between the philosophers of Islam or the matter between speakers or even between philosophers and speakers.

In the context of the coexistence of verbal and philosophical ideas and trying to invest in the Arab-Islamic environment. An example of this is the dialogue that took place between philosophers and speakers as a model. As far as the speakers are concerned, there are schools and Islamic groups, in particular: the Mu'tazila and Ash 'aria groups have had verbal debates. On the other hand, the Mu'tazila and Asharia groups were born as a result of the dialogue and discussions between the poles of the speech schools. The most important discussions between them were either divine questions such as: God's vision or the question of human actions, and the issue of religious dialogue between the speakers extended to Muslim philosophers and was not part of the bilateral dialogue between a group, or another belonging to a religion namely Islam or between a philosopher and another philosopher, also belonged to the religion of Islam, but religious dialogue went beyond other religious laws such as that Christianity and Judaism, or even with some communities that do not believe in religion, monotheism.

Keywords: philosophical dialogue - religious dialogue - theological philosophy - theological renewal - Philosophical Dialectics -

1- اسم المؤلف، محمد وادفل، الرتبة أستاذ التعليم العالي ، mouadfeul@yahoo.fr مخبر البحث.فلسفة العلوم الإنسانية

مقدمة:

من المؤكد أنّ المسلمين قد كان اهتمامهم بالجدل والمناظرة، فقد أثر هذا الاهتمام في ممارستهم سواء أكانوا فلاسفة أم متكلمون أم فقهاء أم أصوليون ونحاة ولغويون ...وكان لهذه الممارسات تصنيفات أدرجت فيها مؤلفات عديدة تُوضّح أصوله وأركانه وتُمحص في آدابه وضوابطه. و إن كانت لا تهمنا الأسباب التي تدفع العلماء المسلمين إلى الاهتمام بفنون الجدل المختلفة، وكل من زاد علما من الناس فهو أكثر قدرة على معرفة أوجه الخلاف ودقائق الفروق بين الأفكار والمصطلحات والمذاهب والنّحل المختلفة، وهي الفكرة التي ينبغي الإيمان بها أنّ المناظرة والجدل كانا ملازمين للتحصيل العلمي عند علماء الإسلام ومنهم المتكلمون رغبة منهم في تعميق المعرفة على سبيل التفاوض لعدّة مسائل سواء فلسفيّة وكلامية وسياسيّة . وأما الحديث عن الجدل والمناظرة في الدين، فقد كان المتكلمون هم السبّاقون الأوائل لهذا العلم، باعتبار أنّ ظهور علم الكلام وانتشاره كان سببا قويا ومباشرا في حضور مجالس الجدل والمناظرات في المجتمع العلمي الإسلامي، وتصبح بذلك الحوار القائم على المناظرات موضوعات علمية تتحول إلى معارك ثقافية، وهذه المعارك الثقافية في حقيقتها تتحول إلى مواقف حضارية .

ولئن كانت المشكلات التي واجهت المسلمين في العصر الأول لظهور الإسلام، فلأنها لم تكن راجعة إلى الإسلام ذاته، وإنما هي من صميم ثقافة اليهود والمسيحيين وديانتهما، فقد كانوا بارعين في فنّ الجدل والنّقاش، بحكم اطلاعهم على مؤلفات اليونان الفلسفية والمنطقية. والمعتزلة من بين الفرق الكلامية التي كان لها صيت وباع كبير في المناقشات الجدلية والمناظرات العقلية،لتأثرهم بالأساليب المنهجية اليونانية التي أخذوها عن اليهود والمسيحيين منها استدلال الشاهد على الغائب أو التي تُسمى قياس الغائب على الشّاهد،حتى وإن كانت الآليات المنهجية التي استخدموها كانت متعدّدة ومتنوعة ولم تكن موحّدة في جميع أطوار علم الكلام، فإنّ طريقة المتقدمين تختلف عن طريقة المتأخرين .

إلى هنا وتبعا لمحتوى المداخلة فإنّ الإشكالية التي يُمكن أن نضعها تتمحور في: بِم يتميّز الحوار والمناظرة من الوجهة الدينية في الفكر الإسلامي ؟

إنّ الإجابة عن الإشكالية يقتضي الإلمام بجوانب المناظرة والحوار الديني من حيث البحث أولا عن ظروف نشأة الحوار الديني، وثانيا البحث عن نماذج الحوار الديني والمناظرات بين المتكلمين وفلاسفة الإسلام وثالثا الحوار الديني الكلامي والآفاق المستقبلية لتجديده. وأن تكون الخاتمة إجابة عن الإشكالية وهي النتائج.

<u>العنوان المحوري الأول</u> : ظروف نشأة الحوار الديني عند المسلمين(فقهاء ومتكلمون).

يذهب حجة الإسلام أبو حامد الغزالي([1]) في تفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها إلى أنّ الباعث على الحوار والمناظرات في علوم الدين لم تظهر في عهد الرسول صلّ الله عليه وسلم ولا في عهد الخلفاء الراشدين المهديين، بالرغم من أنهم كانوا أئمة وعلماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه مستقلين بالفتاوى في الأقضية. وكان الباعث الأساسي للمناظرة في علوم الدين الظروف والمتغيرات التي مرت بها الدولة الإسلامية بعد عهد الخلفاء وقد كان للفقهاء وعلماء الكلام أثر كبير في تدشينها، ثم سرعان ما انتشرت المناظرات في علوم الدين في المجتمع الإسلامي ([2]). وهو الأمر الذي دفع بعض العلماء إلى وضع شروط لهذا النوع من المناظرات، لا يصح انعقادها إلا بها، بعد أن يكون الغرض منها أصلا، طلب الحق من الدين.

أما بالنسبة إلى المتكلمين،فإنّ هناك مدارسا وفرقا إسلامية من بينها: المعتزلة والأشاعرة .ونشير من جهة،على أنّ الحوار والمناظرات لم تكن خاصة بالدين فقط ،بل شملت عدة مسائل علمية منها: الطب والفلسفة والطبيعيات والنحو والمنطق. ومن جهة أخرى، فإنّ فرقتي المعتزلة و الأشاعرة قد ولدا على إثر حوار.وكانت أهم المناقشات التي دارت بينهما تتمثل إما في المسائل الإلهية مثل: رؤية الله وإما مسألة أفعال الإنسان .كما أن مسألة الحوار الديني عند المتكلمين والفلاسفة المسلمين لم تكن في إطار الحوار الثنائي بين فرقة وأخرى ينتميان إلى دين واحد وهو الإسلام أو بين فيلسوف وفيلسوف آخر ينتميان كذلك إلى دين الإسلام،بل كان الحوار الديني يتعدى إلى تشريعات دينية أخرى مثل المسيحية واليهودية أو حتى الحوار يكون مع بعض الطوائف التي لا تؤمن بديانة التوحيد.

1- رواج علم الحوار الديني:

بما أنّ مجالات البحث في الجدل والحوار والمناظرة في الفكر الإسلامي متعددة، فمن الواجب التطرق إلى أهم الفنون والنشاطات العقلية التي مارسها المسلمون بالطريقة الجدلية التي اعتمدها علماء الإسلام في تخصصات متنوعة . وفي التصدير الذي كتبه إبراهيم مدكور يذكر أنّ لهذه الطريقة الجدلية أثر بيّن وكبير في الرقي العلمي في الإسلام ، حيث كان الحوار والجدل والأخذ والرّد بدرجة لا تقل أهمية عما

[1] الغزالي (أبو حامد) ، إحياء علوم الدين ، تحقيق وضبط ومراجعة القاضي محمد الدالي بلطة ، الجزء الأول، المكتبة العصرية،بيروت ، 1434ه -2013، ص60.

2 خالد حربي ، المعتزلة – الأشاعرة وأثرها في تطور علم الكلام ،(مدارس علم الكلام في الفكر الإسلامي) ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 2010، ص 25.

[2] خالد حربي ، المعتزلة – الأشاعرة وأثرها في تطور علم الكلام ،(مدارس علم الكلام في الفكر الإسلامي) ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 2010، ص 25.

كانت عليه أثينا في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد([3]).ومن أهم التسميات السائدة لعلم الحوار والمناظرات في ذلك الوقت علم آداب البحث والمناظرة ، وكان نطاقها واسعا بحيث لم يترك مجال إلا واستخدمت فيه ([4]). وهو ما يدل على أنّ علم الحوار والجدل كانت له آدابه وقواعده وأنواعه المختلفة نذكر على سبيل المثال: في الطب والإلهيات والفلسفة والطب النفسي والنحو والمنطق والطبيعيات.ولكن الذي يهمنا في هذه المقالة هو الجدل والحوار الديني عند المتكلمين. وقبل التطرق إلى الحديث عن أساليب الحوار الديني يجدر بنا التطرق إلى اشتقاق لفظ الجدل والحوار في الاشتقاق اللغوي للسان العربي المبين ونحاول مقارنته في الاشتقاق اللغوي للألسن المتعددة للهندو أوروبية والبحث عن المعاني القريبة من التي تستخدم بالمعاني نفسها أو حتى القريبة منها من ذلك المناظرة والمحاورة والمحاجة .

2- الجدل من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية:

أ- من الناحية الاشتقاق اللغوي: إذا أردنا استخدام معنى الجدل في اللسان العربي، فمعناه لا يبتعد عن المعني الذي يستخدم بشكل واسع في الكلام والثقافة الإسلامية، فمادة "جدل" حسب ابن المنظور تشير إلى اللّدد في الخصومة والقدرة عليها ، يقال جادله مجادلة وجدالا ، ونقول رجل جَدِل و مِجدال أي شديد الجدل. ويقال "جادلت الرجل فجدلته جدلا"، أي غلبته. والجدل أيضا مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة ([5]).

ب- **من الناحية الاصطلاحية** : مصطلح الجدل "Dialectique " مشتق من الاسم اليوناني إما بمعنى الكلام (Parole) أو الخطاب (Discours) والحجة (Raison) . وبما أن الاسم الجدل يتركب من Dia التي تشير إلى معنى التبادل ، فإنّ المعنى المقصود من المصطلح هو تبادل الكلام أو الخطاب أو الحجج ، وهو المعنى الذي يؤدي إلى الحوار والمحادثة والمناقشة بوصفها شكلا للمعرفة ، أو هو فن الحوار والمناقشة ([6]).وهو بذلك يتضح أنّ الدياليكتيك عند فولكييه يرتبط ب اللوغوس (Logos)وهو عند اليونانيين ليس فقط معنى "الخطاب" و"الحجة"، ولكنه مبدأ أساسي للفكر ولتحديد ما هو حقيقي([7]). وهذا يمثل حسب ما جاء عند اليونانيين وثيق الصّلة بالمنطق، وإذا كان المنطق نظرية للتفكير العقلي، فإنّ الجدل يقوم على

---

[3] ابن سينا ، كتاب الشفاء ، تصدير إبراهيم مدكور ، ص 02 .

[4] محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2003، ص06.

[5] ابن المنظور، لسان العرب، ج2، نسقه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط3، 1993، ص212.

[6] Foulquié, La Dialectique, P.U.F, 1959, P.07.

[7] E.Balibar et P.Machery.in, Encyclopidia Universalis,Sous la présidence d'Alain Aubry, Paris, 1997, Corpus 07, (Dialectique), P.359

ضبط وتطبيق معرفتنا بقواعد المنطق أثناء المناقشة. إضافة إلى ذلك أنّ الأداة الأساسية التي يقوم عليها المنطق هي مبدأ الهوية الذي ينقلب في صيغته السلبية إلى مبدأ التناقض الذي تقوم على التناقض الذي تقوم عليه البراهين بالخلف، والمُجادل لا يستغني عن مبدأ التناقض في مناقشة خصمه بصورة مطلقة تقريبا ، وهو ما يدل بوضوح دقيق على أنّ دحض الخصم يتطلب منه أن يتبين إما أنها تناقض الواقع الأكثر بداهة ، أو تناقض فرضية من مقدماته ، وهو ما يعني وقوعه في الخطأ مادام أنّ المقدمات المتناقضة لا يمكن أن تكون صحيحة في الوقت نفسه([8])ولا يصلح اجتماع فكرتان متناقضتان، بمعنى لا يجتمع ما هو صحيح مما هو غير صحيح في الوقت نفسه.

ج- الجدل والمتكلمون: الحديث عن الجدل هو حديث عن جانب فلسفي منطقي ، فلا يمكن أن نتحدث عن بدايات التفلسف إلا وكان الجدل بالمعنى الفلسفي له حضور في استعمالاته لدى الفلاسفة .

ويبقى الجدل بأشكاله المتنوعة في الفترة الممتدة من المدرسة الايلية في القرن السابع قبل الميلاد Ecole des Eléades إلى أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد قد عرفت انتشارا واسعا للجدل وظهر فيها عدد كبير من الجدليين تعتبر نشاطاتهم الجدلية من أهم العوامل لظهور نظرية القياس عند أرسطو([9]).وقد أشار روبير بلانشي(Robert Blanché) الفرنسي المنطقي في كتابه: المنطق وتاريخه من أرسطو إلى رسل إلى أنّ مرحلة الانتقال من الضمني إلى الصريح ، أي أنّ المنطق كان موجودا بصفة ضمنية في أعمال الجدليين الأوائل الذين وصفهم برواد المنطق Les précurseurs ومن بين الرواد بالنسبة إلى المدرسة الايلية سنركز على اسمين لامعين هما :

أ- برمنيدس الايليParménide Elée 515-440 ق.م أول من نادى بضرورة احترام مبدأ عدم التناقض في مناقشته لمشكلة الحمل على اللاوجود (Non être)

ب- زينون الايليZénon D'Elée 430- 490 ق. ما اعتبر Bochenski من خلال كتابه : Formale Logike نجد قائمة فيها تحديد لنسب المناطقة القدماء في شكل لوحة يذكر في بدايتها زينون الايلي كأول منطقي قبل أرسطو . ولكن رأي Bochenski ليس محل إجماع بين مؤرخي المنطق، وربما كان رأيه قائما على أساس عدم التمييز بين الجدل Dialectiqueوالمنطق Logique كما لو كان موضوعا واحدا ([10]).وهو يثبت لنا جليا حسب المصادر التاريخية أنّ الايليين كانوا بارعين في ميدان الجدل .

---

[8] Foulquié, La Dialectique, Op.Cit., P.08

[9] أحمد موساوي ، تاريخ المنطق،(سلسلة البحث والدراسات في المنطق وتطبيقاته)،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر، 2018،ص 15.

[10] أحمد موساوي ، تاريخ المنطق،(سلسلة البحث والدراسات في المنطق وتطبيقاته)،المرجع السابق ،ص 16.

أما الجدل عند السفسطائيين فقد ربطوه بالخطابة التي عرفت عندهم تقدما كبيرا، واعتبر ولتر ستيس Wilter Stis إلى أنّ السفسطائيين أول من نبه الانتباه إلى علم الخطابة الذي يعدون هم مؤسّسيه([11])،حتى وإن كانت مواقفهم فيما يذهب خصومهم سلبية ،لأنّ الخطيب همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأدلة ليثبت رأيا أو يفنّد آخر ، لا يهمّه في ذلك إصابة الحق أو الابتعاد عنه ، بل يكفيه أن يتمكن من إقناع الآخرين بما يقوله.ومادام المعرفة المطلقة مستحيلة ، فهم ينشدون بتأكيد أنّ المعرفة عندهم نسبية انسجاما مع المبدأ الشهير الذي تبناه بروتاغوراس (Protagoras) أحد مؤسسي المدرسة السفسطائية :"الإنسان مقياس كل شيء، فهو مقياس ما يوجد منها ومقياس ما لا وجود وما لايوجد"([12]).

أما مسألة الجدل عند السفسطائيين، فلا يمكن فصلها عن الخطابة عندهم. ذلك أنّ ذلك أنّ الجدل السوفسطائي قد استند إلى فن المراوغة ، وهدفهم الوصول إلى الأهداف المرجوة وهو تحقيق ذاتيتهم وذلك حسب ما يروه الخصوم

العنوان المحوري الثاني : نماذج الحوار الديني والمناظرات بين المتكلمين وفلاسفة الإسلام

سنحاول الحديث عن جانب هام من الفكر الإسلامي، ألا وهو علم الحوار والمناظرة عند علماء الكلام، ودون إطالة اخترنا المناظرة التي جرت بين أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وأستاذه أبي علي الجبّائي وهي من المناظرات التي تؤيد المذهب الأشعري ولها أهمية تاريخية باعتبارها السبب الرئيس في تأسيس وظهور المذهب الأشعري الذي ساد معظم أرجاء العالم الإسلامي.

وتلخص هذه المناظرة على الشكل الآتي([13]): "سأل أبو الحسن أستاذه أبا علي الجبّائي عن ثلاثة إخوة : أحدهم كان مؤمنا برًا تقيًّا،والثّاني كان كافرًا فاسقًا،والثالث كان صغير السن،فماتوا فكيف حالهم؟ فقال

---

11 ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، 2005 ، ص 80 .

12 Diogène Laerce, Vie Doctrine et sentences des philosophes illustrés, Traduction R.Genaille, tome 2 Garnier Flammarion, 1965, P. 185.

13 إبن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الرابع ،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت، دون تاريخ ، ص ص 267-268).

الجبّائي : أما الزاهد ففي الدرجات،وأما الكافر ففي الدركات ،وأما الصغير فمن أهل السلامة،فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبّائي: لا لأنه يقال له: إنّما وصل أخاك إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات،فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس مني ،فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة،فقال الجبّائي : يقول الباري جلّ وعلا : كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مُستحقا للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك ،فقال الأشعري : فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي،فلمَ راعيت مصلحته دوني؟ فقال الجبّائي للأشعري: إنك مجنون ،فقال : لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة ".

أهمية المناظرة :

1- تحدد المناظرة مسار آراء أبي الحسن الأشعري بخاصة،واتجاهات المذهب الأشعري بعامة.

2- تبيّن هذه المناظرة أنّ العقل الإنساني عند الأشاعرة قاصر عن الإحاطة بالحكمة في أفعال الله ، وأن الفعل الإلهي لا يخضع لتقييم العقل البشري ،وموازينه.ومن ثم،فإنّ هذا المبدأ العام إنما يحدد معلمًا هامًا من معالم الفكر الأشعري.

3- إنّ ازدهار حركة الجدل والنقاش والمناظرات قد أدت إلى تغييرات جذرية في بنية المجتمع الإسلامي الدينية ككل.فقد ظهر المذهب الأشعري كرد فعل واضح على المعتزلة أئمة النقاش العقلي والجدل والمناظرات في قضايا الدين.

- الجدل هو بداية علم الحوار وذلك في قول ابن خلدون : "الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم".

وإذا كان الكلام يتضمن ضمنيا الجدل والمناظرة وهي خاصة بالمسائل الاعتقادية فقط فيقول الفارابي:علم الكلام هو ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة ،وتزييف كل ما يخالفها من الأقاويل " إحصاء العلوم.

والخلاصة في أنّ ظهور علم الكلام أدى إلى انتشار مجالس الجدل والمناظرات في المجتمع العلمي الإسلامي وازدهار أية ثقافة وبروز المواقف الحضارية الفاعلة لا تكون إلا بانتشار ثقافة الحوار والمناظرة.

<u>العنوان المحوري الثالث</u>: الحوار الديني الكلامي والآفاق المستقبلية لتجديده.

يعد علم الكلام الجديد أو تجديده امتدادا لعلم الكلام القديم ، باعتبار أنّ التعريف والموضوع والأهداف يبقى واحدا ، ومن التعاريف التي أعطيت لعلم الكلام الجديد، ماذكره محمد عمارة في حوار أجرته معه مجلة قضايا إسلامية معاصرة قال : "هو ذاك العلم الذي يُخلّص ويُنقِي العقيدة الإسلامية- أصول الدين- من

شغب المتكلمين القدماء الذي كان مبعثه التعصب المذهبي أكثر من الاختلاف الحقيقي ، وهو بذلك القادر على اكتشاف المساحة الواسعة للأرض الفكرية المشتركة بين مذاهب وتيارات وفرق علم الكلام الإسلامي"([14]). وهو ما يجعلنا نؤكد بوضوح أنّ مسالة الحديث عن حوار ديني مستقبلي يتطلب تجديد علم الكلام نفسه وفق إطار متحضر ومستقبلي بالرغم من أنّ التعريف والأهداف والموضوع واحدا بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد إلا أنّ آليات الحوار الديني الكلامي الجديد يختلف عن آليات الحوار الديني القديم .

1- تجديد الحوار الديني عند المتكلمين : أما إذا أردنا إعطاء مفهوم الحوار فهو الخطاب الذي يحمل في طياته اللين والرفق مع الغير وهو مجوعة أفكار ومعلومات ، كما أنّ توظيف مصطلح الحوار يترك في النفس الأثر الحسن عكس لفظة الجدل التي توحي بالصراع والخصام ([15]). وهو ما يجعلنا نؤكد بصراحة على أنّ الحوار ممارسة حضارية وتؤدي كثيرا إلى التفاهم وحل المشكلات ، بينما الجدل ممارسة فلسفية وكثيرا ما تؤدي إلى عدم التفاهم إذا لم يكن بين الجدليين توافق في الرأي لحل المشكلات .غير أنّ طه عبد الرحمن يؤكد على أنّ أغلب المعارف الإسلامية آخذة بمسلك المناظرة الجدلي ولم يأخذ أيّ مجال علمي إسلامي بهذا المنهج مثلما أخذ به علم الكلام([16]) ، ذلك أنّ هذا العلم يبقى من العلوم الشرعية الأكثر مواجهة من العلوم الشرعية الأخرى للعقائد سواء تعلق الأمر بأصحاب الملة الواحدة أو بين أصحاب الملل المختلفة ، ويذهب طه عبد الرحمن إلى أنه يحق أن نسمي هذا العلم ب "علم المناظرة العقدي " من أن يدعي باسم آخر ، فيكون "رجل الكلام " أو "المتكلم" هو من كانت تتوفر فيه الشروط الآتية([17]):

أن يكون المتكلم معتقدا وناظرا ومحاورا . أما بالنسبة إلى معتقد المتكلم فيتمثل في تسليم المتكلف بالشرع كتابا وسنة، وهو التوحيد إيمانا بالوجود بما هو موجود على قواعد الإسلام الخمسة. والناظر في أنّ المتكلم يطلب تعقل أصول العقيدة وتعقيلها ، سالكا سبل الاستدلال والإقناع ممّا أدى إلى تسميّة علم الكلام بعلم النظر والاستدلال . وأما أن يكون علم الكلام محاورا فمعناه أنّ الصّفة الحوارية للمتكلم

---

[14] عبد العزيز راجل ، علم الكلام : من إثبات العقائد وبيانها إلى حل الإشكالات المعاصرة ، مجلة التفاهم الإسلامية الفكرية، السنة التاسعة ، بيروت ، 2011، ص ص 237- 238 او العودة الى مجلة قضايا اسلامية معاصرة العددان 16-17 حوار مع محمد عمارة .

[15] عبد الله بكلي ، منهج القرآن في حوار الأديان، الحوار المسيحي الإسلامي نموذجا ، مذكرة شهادة الماجستر في العلوم الإسلامية ، تخصص عقيدة ، اشراف محمد بن موسى بابا عمي ، جامعة الجزائر 1 ، دون سنة ، ص 23.

[16] طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية،الدار البيضاء، 2000، ص ص 72-71

[17] المرجع نفسه ، ص ص 70- 71

داعيا إلى حمل الكلام على معنى المكالمة والمناظرة وعلى تسمية علم الكلام بعلم "المقالات الإسلامية". وقد أثار عبد العزيز راجل الباحث المغربي تحليلا لفصول كتاب طه عبد الرحمن الموسوم : أصول الحوار وتجديد علم الكلام في الفصل الأول تحدث فيه عن الخطاب ومراتب الحوارية وشروطها ومكوناتها لينتقل بعدها إلى الفصل الثاني للحديث عن المنهج الكلامي الذي يتمثل في المناظرة وقد عدّها علما له منهج وأصول . وفي آخر الكتاب حسب عبد العزيز راجل تحدث طه عبد الرحمن عن الآفاق المستقبلية للممارسة الكلامية وهو ما أشار إليه طه عبد الرحمن نفسه يقترح تسميات لعلم الكلام الجديد منها : علم المناظرة العقدي و علم النظر والاستدلال وعلم المقالات الإسلامية([18]) .

والخلاصة في ذلك أنّ علم الكلام الجديد هو العلم الذي يأخذ الطابع الحواري التفاهمي مع الآخر بإنتاج المقال الكلامي الجديد للتخاطب مع الآخر . وسؤال فهم الآخر ومخاطبته بحوار عقلاني هو من صميم علم الكلام منذ القدم. لكن، النظر في علم الكلام المعاصر الجديد بكيفية إحياؤه واستئنافه مع القضايا القديمة ليأخذ مسارا جديدا للتفاهم.

2- أسس تجديد الحوار الديني عند المتكلمين:

يصرّح طه عبد الرّحمن إلى أنّ المستوى الرفيع الذي أدى بعلم الكلام ينتقل من علم الكلام التقليدي إلى علم الكلام الجديد في المسائل الدينية على الخصوص يتمثل بالدرجة الأولى في ضبط المناهج العقلية والأخذ بالقويم من الأدلة المنطقية يفوق بكثير المستوى الذي بلغة من يقوم من "علماء المسلمين" اليوم بالتصدي للمذاهب الفكرية غير الإسلامية ، كما يفوق مستوى من يتولى من "مفكري العرب المعاصرين" مهمة تجديد التجديد لمناهج البحث في الإنتاج الاسلامي([19]). وهو ما يؤكد يقينا أنّ الحوار الديني القائم على المباحث الكلامية سواء أكانت عقائدية أم طبيعية أم أخلاقية فهي بالأساس تعمل في إطار الدفاع عن المسلمين بعدما كان هدفها هو الدفاع عن العقيدة في علم الكلام التقليدي. ذلك أنّ الحوار الديني وتجديده في إطار ما يسمى بالكلام الجديد لم يبق الدفاع عن المسائل العقائدية والأخلاقية بل أصبح له مسائل سياسية واقتصادية وحضارية تهم العالم الإسلامي اليوم وفق الثقافة العالمية الحضارية.

---

[18] عبد العزيز راجل ، " علم الكلام : من إثبات العقائد وبيانها إلى حل الإشكاليات المعاصرة " ، مجلة التفاهم ، شركة نعنوع والأوائل لتوزيع الصحف والمطبوعات ، بيروت ، 2011 ، ص ص 247-248

نهاية المقال

كان السؤال الذي أردنا البحث فيه يمثل على الشكل التالي: بِم يتميّز الحوار والمناظرة من الوجهة الدينية في الفكر الإسلامي ؟

والإجابة عن هذه الإشكالية في أنّ الحوار والمناظرة يتميز من الوجهة الدينية في إطار الفكر الاسلامي ، بدءا من الحوار الكلامي ، لا يخرج عن إطار مرجعية النص الشرعي الديني من القرآن الكريم ، وهي الدعوة التي اعتمد عليها علماء الكلام في تحاورهم ومناظرات سواء بين الملة الواحدة من المسلمين أو من الديانات الأخرى التوحيدية او حتى الديانات غير التوحيدية . وقد تفرعت نتائج أخرى من هذه النتيجة العامة نجملها على الشكل التالي:

1- اصطبع الحوار الكلامي الديني بالصبغة الفلسفية مما جعله أكثر ثراء وتوسعا .
2- إنّ الحوار الديني الكلامي الممارس لدى علماء الكلام المتقدمين هو امتداد وتواصل لعلم للحوار الديني الكلامي الجديد، وذلك لحل المشكلات الجديدة التي اصطبغت به.
3- أهمية إثراء المسائل التي تدعو إلى الحوار الديني والكلامي وفق الجوانب اللغوية والتداولية اللسانية إذا أردنا لهذا العلم الاستمرارية في البحث عن مشكلات العالم الاسلامي .

قائمة المصادرو المراجع

[1] الغزالي (أبو حامد) ، إحياء علوم الدين ، تحقيق وضبط ومراجعة القاضي محمد الدالي بلطة ، الجزء الأول، المكتبة العصرية ،بيروت ، 1434هـ -2013، ص60.

2 خالد حربي ، المعتزلة – الأشاعرة وأثرها في تطور علم الكلام ،(مدارس علم الكلام في الفكر الإسلامي) ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 2010، ص 25.

[3] ابن سينا ، كتاب الشفاء ، تصدير إبراهيم مدكور ، ص 02 .

[4] محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2003، ص.06

[5] ابن المنظور، لسان العرب، ج2، نسقه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط3، 1993، ص212.

6Foulquié, La Dialectique, P.U.F, 1959, P.07.

[1] 7E.Balibar et P.Machery.in, Encyclopidia Universalis,Sous la présidence d'Alain Aubry, Paris, 1997, Corpus 07, (Dialectique), P.359

8 Foulquié, La Dialectique, Op.Cit., P.08

[9] أحمد موساوي ، تاريخ المنطق،(سلسلة البحث والدراسات في المنطق وتطبيقاته)،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر، 2018،ص 15.

[10] أحمد موساوي ، تاريخ المنطق،(سلسلة البحث والدراسات في المنطق وتطبيقاته)،المرجع السابق ،ص 16.

[11] ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، 2005 ، ص 80 .

12Diogène Laerce, Vie Doctrine et sentences des philosophes illustrés, Traduction R.Genaille, tome 2 Garnier Flammarion, 1965, P. 185.

[13] إبن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الرابع ،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت، دون تاريخ ، ص ص 267-268) .

[14] عبد العزيز راجل ، علم الكلام : من إثبات العقائد وبيانها إلى حل الإشكالات المعاصرة ، مجلة التفاهم الإسلامية الفكرية، السنة التاسعة ، بيروت ، 2011، ص ص 237- 238 او العودة الى مجلة قضايا اسلامية معاصرة العددان 16-17 حوار مع محمد عمارة .

[15] عبد الله بكلي ، منهج القرآن في حوار الأديان، الحوار المسيحي الإسلامي نموذجا ، مذكرة شهادة الماجستر في العلوم الإسلامية ، تخصص عقيدة ، اشراف محمد بن موسى بابا عمي ، جامعة الجزائر 1 ، دون سنة ، ص 23.

[16] طه عبد الرحمن،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية،الدار البيضاء، 2000، ص ص 71-72

[17] المرجع نفسه ، ص ص 70- 71

[18] عبد العزيز راجل ، " علم الكلام : من إثبات العقائد وبيانها إلى حل الإشكاليات المعاصرة " ، مجلة التفاهم ، شركة نعنوع والأوائل لتوزيع الصحف والمطبوعات ، بيروت ، 2011 ، ص ص 247-248